

الصلاة.. زاد التقوى



الأربعاء 22 ديسمبر 2021 10:43 ص

العبادات تزود صاحبها بتقوى الله، وهى خير زاد... { يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتقون }، { يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر و الصلاة إن الله مع الصابرين }، { واستعينوا بالصبر و الصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين } : { إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر }، { يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون }، { خذ من أموالهم صدقة تطهره و تزكهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم } { الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله و تزودوا فإن خير الزاد التقوى و اتقون يا أولى الألباب } .

هكذا نجد هذا العبادات مصادر أساسية، دائمة، متجددة للزاد الذى يزكى النفس، ويسمو بها عن جوارب الأرض، ويعين على تخطى العقبات، وتفادى المنعطفات .

ولكل عبادة من هذه العبادات زادها وأثرها الذى يغير زاد وأثر العبادات الأخرى من بعض الجوانب بحيث يكمل بعضها بعضاً وكما أنها تغطى جوانب شخصية المسلم فهى كذلك تغطى أيام حياته فنجد منها المتكرر يومياً كالصلاة خمس مرات فى اليوم ومنها المتكرر شهراً كل عام كالصوم ، ومنها ما يتم حسب الأحوال كالزكاة و الحج حسب الاستطاعة والإمكان .

وهناك أيضاً مجال السنن و التطوع فى كل منها بعد الفرائض لكل راغب فى المزيد من الزاد و التقوى و القرب من الله ... وقد سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السنن من منطلق حبه الخير لنا .

الصلاة :

وسنحاول أن نجلى بعض صور الزاد فى هذه العبادات، لعل فى ذلك ما يعين ويسر التزود لكل راغب فى الزاد ولنبدأ بالصلاة و الله الموفق و المعين .

الصلاة صلة بالله تعالى، صلة هذه النفخة فينا من روح الله بأصلها لتستمد منه الحياة و النماء ... الصلاة قرب من الله وأنس به سبحانه، ونرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (وجعلت قرة عيني في الصلاة) ونجده صلى الله عليه وسلم يقوم الليل ويستغرق في صلاته حتى تتورم قدماه دون أن يشعر بألم ، فمن سما بروحه ومشاعره تضاءلت عنده متاعب الجسد وآلامه .

الصلاة مصدر متجدد للطاقة الروحية و الزاد وقد توزعت أوقاتها على الليل و النهار لمواصلة التزود وتجديد الرصيد من الزاد وقد يسر الله أداءها حتى لا نحرم الزاد في كل الأحوال والأوقات في السلم و الحرب في السفر و الإقامة في الصحة و المرض وهذا من فضل الله علينا ورحمته بنا .

في الصلاة استرواح و خلوص من مشاغل الحياة و عنائها لنقف بين يدي الله في خشوع و خضوع ، وركوع و سجود ، نقرأ و نسمع كلام الله و نسبح الله و نعظمه ... و ندعوه و نستغفره ... و كأن الصلاة معراج لأرواحنا تعرج الى الله بعيداً عن جوارب الأرض ، و فتن الحياة خاصة و أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء و المعراج .

من يقبل على الصلاة بقلب نقي و نية خالصة يفيض الله عليه من أنواره و هدايته و سكينته و رحمته بما يعين المصلي على مجابهة الحياة بكل اطمئنان و استقرار نفسي لا فزع لا قلق لا خوف لا ضعف ، و يتحصن ضد الفتن و الفحشاء و المنكر و نزغات الشيطان فيكون في حفظ الله و رعاة الله ، شاعراً بمعية الله أينما سار و حيثما حلّ ، مطمئناً الى جنب الله ، متوكلاً عليه مفوضاً أمره إليه و اثقاً به كل الثقة في طاعة و تسليم و التزام كامل لكل أمر أو نهى دون تردد و هكذا يعيش العبودية الحقّة و السعادة التامة و الرضوان الكامل ذلك لمن خشى ربه .

يشعر المصلي أنه منذ وقت قليل كان بين يدي الله و بعد قليل سيقف بين يدي الله مرة أخرى، فلا يليق أن يغفل عنه أو ينساه بين الصلاتين و هكذا يظل المحافظ على صلاته لوقتها داخل المجال التأثيري الرباني للصلاة لا يكاد يبعد عنه، فلا يتمكن الشيطان من الخلوة به و الانحراف به عن الصراط المستقيم : { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً } .

كان رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة فيجد الراحة و الأمن و التوفيق و الطمأنينة، و كان دائماً ما يقول لبلال رضى الله عنه : (أرحنا بها يا بلال) فالصلاة للمؤمن كالواحة الوارفة وسط صحراء الحياة و لفحها .

هذا الخضوع لله و الركوع بين يدي الله في الصلاة يمد صاحبه بكل معاني العزة ، فالمصلي لا يركع ولا ينحني إلا لله في إجلال و تعظيم ، ولا ينحني لبشر ولا يخشى إلا الله : { الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله } وكلما عظمتنا الله و قدرناه حق قدره ازدادنا إقبالا على طاعته و اللجوء إليه و الاطمئنان الى جانبه، و ازدادنا نفرة من معصية الله و مخالفة أمره و في هذا زاد .

هذا السجود لله في الصلاة من أعلى المقامات فيه العبودية الحقّة و التذلل الخالص لله، فيه القرب و الأنس، وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش حقيقة السجود لله و تذوق لذته و ما فيه من قرب من الله و سعادة روحية فكان يطيل السجود في تهجده بالليل حتى تظن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنه قبض ... و قد نبهنا رسولنا الكريم الى هذا الخير ، و رغبتنا فيه فقال ما معناه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ... يستشعر المصلي هذا المعنى وهو ساجد و يحس بهذا القرب، و أن هذا أشرف و أسمى وضع له في هذه الدنيا لأنه حينئذ يكون أقرب ما يكون من ربه حينئذ تكون السعادة و الزاد .

وجلسة التشهد و ما تحويه من معان و مشاعر و جدانية سامية نتقرب الى الله بالتحيات المباركات و الصلوات الطيبات ، و نتوجه بتحية الإسلام لرسولنا الحبيب السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ثم نعود بالسلام علينا و على عباد الله الصالحين ، ثم نقرّ بالشهادتين و نصلي و نسلم على رسولنا الحبيب ، ما أروعها جلسة حينما نعيشها بين يدي الله تعالى مع رسوله صلى الله عليه وسلم و حولنا عباد الله الصالحون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى ينظر إلينا و يتجلى علينا من عليائه بعين الرضا و القبول ، ثم نخرج من الصلاة بعد هذه الجلسة الممتعة لنواجه الحياة بنفوس رضية هائلة .

حركات الصلاة تعود على المصلى بفائدة صحية فى بدنه .

إن التزامنا لحركات الصلاة كما علمنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركعة ركوع واحد وسجدتان وليس ركوعين وسجدة واحدة؛ هذا الالتزام فيه معنى العبودية المطلقة لله و التسليم المطلق لأوامر الله ولو لم تظهر لنا الحكمة، فما طرد إبليس من رحمة الله لمجرد معصيته أمر الله بالسجود لأبينا آدم مع الملائكة ولكن لأنه اعترض على مقتضى الأمر وحكمة الله فيه، وهكذا نتعلم من الصلاة هذا المعنى السامى للعبودية لله .

إن التهيؤ للصلاة بطهارة البدن و الثوب و المكان والوضوء يربى المسلم على النظافة والنقاء و الذوق السليم الذى ينفر من القاذورات و النجاسات الحسية و المعنوية، وحينما تصاحب الطهارة الحسية طهارة القلب من كل ما يغضب الله فالقلب موضع نظر الله فى الصلاة فلا حقد ولا حسد ولا بغضاء ولا شحناء بينه وبين إخوانه المسلمين، وهذا زاد هام و ضرورى للمسلم عموماً ولسالك طريق الدعوة خصوصاً .

إن شرط صحة الصلاة بدخول الوقت و الحرص على أدائها قبل خروج وقتها يعوّد المصلى على الدقة فى المواعيد و الوفاء بها ويعوّده الحرص على الوقت بحيث لا يلهيه أى أمر ويشغل عليه وقته دون انتباه . فإن أوقات الصلاة تنبهه وتوقظه من غفلته ، وهكذا لايسمح لأى عرض من أعراض الدنيا أن يزحم عليه وقته وفكره عن ذكر الله وإقام الصلاة و العمل و الجهاد فى سبيل الله ، هذه الصفات لازمة ومهمة لكل من يسلك طريق الدعوة ويرتبط بالأعمال و المواعيد واللقاءات .

تحرى القبلة و التوجه إليها يعوّد المسلم على معرفة الاتجاهات و جغرافية المكان بالنسبة للكعبة بيت الله الحرام وفى الشعور باتجاه المسلمين فى أنحاء العالم الى قبلة واحدة يكسب المسلم الشعور بالوحدة مع إخوانه المسلمين وارتباطه بهم وهذا معنى تربيوى هام يلزم تحقيقه بين المسلمين كى يستطيعوا مواجهة أعداء الإسلام ، كما أن التوجه الى القبلة يلزم أن يصاحبه توجه القلب الى الله بإخلاص النية وتنقيتها من آثار الرياء أو الشرك وإخلاص الوجهة من أهم ما يلزم الداعية الى الله فى طريق الدعوة .

الاستجابة للنداء للصلاة بمجرد سماعه و التخلص من كل شواغل الدنيا فيه مجاهدة و تقوية للإرادة و العزيمة و التغلب على أهواء النفس ومطامعها وفى ذلك زاد و تربية، لهما أثرهما العملي فى حياة الداعي إلى الله و ترتيب الأولويات فى المهام و الأمور .

انتظام الصفوف فى الصلاة و تسويتها و التزام الإمام وعدم سبقه وكذلك الفتح عليه إذا نسي أو أخطأ؛ كل ذلك له آثاره التربوية فى نفس المسلم؛ فالجندية والنظام و الطاعة للقيادة مع النصح و التنبيه للخطأ أمور لازمة للعاملين فى حقل الدعوة الإسلامية و المجاهدين فى سبيل الله .

الشعور بالمساواة صفا واحدا بين يدي الله لافرق فى الوقوف بين غنى و فقير ، لا تعالى ولا كبر؛ فالكل سواء بين يدي الله، بل قد يضع الغنى جبهته ساجداً لله قريباً من قدمي الفقير فى الصف الذى أمامه دون حرج أو اشمئزاز ، وفى هذا مجال تربيوى مهم وزاد ضرورى لتألف المسلمين وتقاربهم وتقوية الصلة بينهم .

اجتماع المسلمين على الصلاة فى المسجد فى الأوقات الخمسة وصلاة الجمعة والعديد من شأنه أن يتيح الفرصة بين المسلمين فى الحي الواحد أو البلدة الواحدة للتعارف والتألف و الوحدة و التعاون فيعطون المحتاج ويعودون المريض، ويشارك بعضهم بعضاً فى أفراحهم وأتراحهم ويتعاطفون ويتراحمون فيما بينهم .

حرص المسلمين على الصلاة فى المسجد يربطهم بالمسجد ويعيد للمسجد رسالته المهمة التى كانت له فى أول عهد الدعوة فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدبر فيه أمر المسلمين وتجييش منه الجيوش وترسم الخطط ويتدارس فيه كل ما يهم المسلمين، وما أحوج المسلمين اليوم الى العودة بالمسجد الى رسالته الأولى .

هكذا نجد الصلاة كلها زاد على الطريق وكل ما يتصل بها يغذى المصلى بنوع من الزاد لازم وضروري له .

ولا أدعى أتى أحطت بكل ما فى الصلاة من مصادر وينابيع الخير و الزاد، ولكن هذا جهد المقل ونسأل الله القبول والإخلاص .

